

يدي هي التي أوتدت هذه النار الجنازية ،
حتى تلتهم ألسنتها عظمة وذنوب أمة فاسدة -
تتحول الى خراب أبد الدهر - ينعق اليوم فوق قلاعها في الليل .
وفي جزء آخر من القصيدة يصف باروخ مشاعره اثناء التهام السنة النار للمدينة :

وفي أثناء الضوضاء والفوضى جريت في شوارع المدينة ،
لارى أعدائي بأرواحهم المحطمة ولاشهد هزيمتهم ،
ولاراقب الدموع تسيل من عيون الاب حينما يسمع
صوت ابنه يئن وهو يحترق في الفرن ، وأشعر بالشماتة .
لقد ضحكت وضحكت في شوارع المدينة على الامهات الباكيات .

وباروخ لا يقوم بفعله هذا كنتيجة لاستجابة عاطفية مباشرة لموقفه ، او بناء على تدبير عقلائي ، بل أننا نكتشف انه مثل شمشون ، لا يتصرف الا بناء على وحي رباني (أو وحي قبلي بمعنى أصح) :

تملكني روح عملاقة تستيقظ في حجري
تهمس ، وتتحدث ، وتنصح ، ممسكة بأوتار قلبي .
تخبرني ماذا ينبغي ان أفعل ، تشعل داخلي شرارة ،
ولكنها تهمس لي برغف . الان يحل السكون والظلمة ،
وتخيم سحابة رمادية ، سيدة الظلام .

ويحاول الظلام يحاول البطل أن يعرف ماذا يطلب منه هذا الصوت الرباني ، وفي نهاية الأمر يعرف أن عليه أن يفعل شيئاً ولكنه لا يعرف طبيعته على وجه التحديد . وسريعاً ما تنقشع الغيمة ، وينبعث صوت الرب مثل هدير الانهار مرتفعاً ، يغطي على صوت الدنيا ، الى ان يرى باروخ :

فوق صورة هديس شمعة وحيدة تشير الي ، واقفة يرتعش لهيبها .
وهكذا احضرها ربي الي يدي مثل نور الخلاص .
وبغثة اضاءت حجرات روحي المظلمة .

ويبدأ الحريق وتبدأ السنة النيران في التهام كل شيء ، ولكنها نيران ولا شك ربانية :

آلاف الالسن الصغيرة والشرارات تمطر فوق كل شيء ،
كما لو كان نور الله قد تساقط متناثراً من السماء نفسها فوق الارض .

ومن الغريب أن الشاعر يربط بين نور الخلاص ونور الله من جهة ، والنار المهلكة الحارقة من جهة أخرى ، ولكن الاله القبلي لا يكثرث الا بأبناء قبيلته . والشاعر في القصيدة نفسها ، عن وعي او عن غير وعي ، يصف النار وصفا اقرب الى الصدق من وصفه اياها في الابيات السابقة :

ان النار مثل آلاف الالسن العملاقة جاءت تلحق الحواظ .

وهو بهذا يربط بين النار والاشياء الكريهة داخله ، ثم يضيف قائلاً :

ارتفعت السنة النار واحرقت ، ولعقت السقف .

مثل الثعابين الصغيرة التي تلفت في سممت وتضحك في خبث .

ان نار باروخ أبعد ما تكون عن الطهر والبراءة ، واستخدام الشاعر لصورة الثعبان ، وهي صورة الشيطان التقليدي ، ايدل أكبر دلالة على انها ليست بنار ربانية ، أو ان باروخ من عبدة اله من نوع خاص لا تدخل الرحمة او الشفقة على قلبه ، ولعل هذا يفسر لماذا تعصف نيران هذا الاله بكل مظاهر البراءة في القصيدة ، فهي تحرق بيت